والفكر القومي الذي يخدم الطبقات الشعبية، بين الرؤية القومية الديموقراطية والرؤية القومية التسلطية... ناهيكم عن تعاظم قوتها وهي تحت النار أيضاً.

كما تشي المعطيات والارقام بقدرة الجبهة على الصمود والانطلاق، رغم استهدافها، وهذه حال الاتجاهات الاسلامية التي استهدفها العدو، ولكنها راكمت وناهضت مثلما ناهضت الجبهة مدريد. بل إنها قادت معركة صمودية كبرى، هي الاولى من نوعها على ارض فلسطين، امام العدوان العسكري التدميري الاسرائيلي على غزة في ٢٠٠٨- ٢٠٠٩ رغم مجافاة الظروف الموضوعية وأوسلو... كما أن المعطيات المتوافرة تحاور ايضا الرأي الذي يقول» لقد تقهقر المشروع الاشتراكي العالمي وقلعته الاهم الاتحاد السوفييتي السابق، وأحد استحقاقاته بالضرورة تقهقر اليسار الفلسطيني. بينما نرى مدا ثوريا يساريا يكتسح معظم القارة اللاتينية وعدة بلدان اخرى، وصمود التجارب الكوبية، الفيتنامية، الكورية الشمالية، ناهيكم عن القفزات التنموية في الصين... بصرف النظر عن التفاصيل... وطابع التجربة التي تبنيها الصين في نفس المرحلة...

بلا شك، ولتجاوز الارادوية التي تتجاهل الشرط الموضوعي، لا مهرب من الاعتراف بالتأثيرات السلبية لانهيار السوفييت واحتلال العراق الذي يقاوم، وانعقاد مدريد تمهيدا لاوسلو الذي افضى لانقسام فلسطيني في العمق... الخ

لكل ذلك تأثيرات بلا ادنى ريب. ولكن كيف تصرف العامل الذاتي، كيف تصرفت الجبهة الشعبية بعد مدريد، وماذا كان الحصاد؟

لقد استشعرت الجبهة مسؤوليتها، ليس باصدار موقف قاطع بمناهضة مدريد، في الخارج والداخل والنأي عن هذا المسار وتعبئة اوسع قطاعات الرأي العام به، والقول: ليس كل فلسطين ذهبت لمدريد ومسار مدريد، بل هناك فلسطين اخرى لديها مقاربة يخلو قاموسها من «كادوك» «والاعتراف» «واستراتيجية التفاوض» وهي تتشبث بالحقوق وخيار النضال.

وفي الداخل كان القرار صريحا، والمتابعة له حازمة (المزيد من المبادرات، خطوات نوعية، المزيد من القوى الى الميدان، التقاطع مع القوى السياسية على ارضية الانتفاضة ومناهضة مدريد وللاستنرادة اكثر اسألوا الرفاق النافذين خارج السجن.)[٦٢٢]

ولكن هذا القرار التاكتيكي يبقى حبرا على ورق، وإن صدر عن العديد من القوى، ما لم تتوافر

٦٢٢) كادر مناطقي